

التَّعَدُّدُ الْمُصْطَلَحِيّ فِي الثَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ وَعِلَلُهُ-التَّأْوِيلُ النَّحْوِيُّ نَمُودَجًا

Terminological pluralism in the Arab heritage and its causes - grammatical interpretation as a model

حورية غيابة¹، د. غنية تومي²Houria Ghiaba¹, Ghania Toumi²¹ جامعة محمد خيضر - بسكرة (الجزائر)² جامعة محمد خيضر - بسكرة (الجزائر)

ghania.toumi@univ-biskra.dz /// 2houria.ghiaba@univ-biskra.dz1

تاريخ النشر: 2024/01/22	تاريخ القبول: 2024/01/13	تاريخ الإرسال: 2023/12/27
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص البحث

نَسَعَى مِنْ خِلَالِ هَذَا الْمَنْجَرِ إِلَى بَحْثِ مَسْأَلَةِ التَّعَدُّدِ الْمُصْطَلَحِيِّ لِلْفِطْرِ التَّأْوِيلِ فِي الثَّرَاثِ النَّحْوِيِّ الْعَرَبِيِّ، مِنْ خِلَالِ تَتَبُّعِ الْمُصْطَلَحَاتِ الْمُرَادِفَةِ لِهَذَا الْمُصْطَلَحِ بُغْيَةَ الْكَشْفِ عَنْ مَوَاطِنِ التَّلَاقِي وَالتَّنَاطُرِ بَيْنَ هَذِهِ الْمُصْطَلَحَاتِ، وَالَّتِي كَانَ لَهَا الْأَثَرُ الْوَاضِحُ وَالْمَبَاشِرُ فِي نَفْسِ السِّيَاقَاتِ ذُونَ إِضْطِرَابٍ مَعَانِيهَا، مَعَ بَيَانِ أَهْمِيَّةِ هَذَا التَّعَدُّدِ فِي الدَّرْسِ النَّحْوِيِّ وَاللُّغَوِيِّ إِجْمَالًا، مُتَّبِعِينَ فِي ذَلِكَ الْمُنْهَجَ الْوَصْفِيَّ بِالنَّيَّةِ التَّحْلِيلِ بَعْدَهُ الْأَنْسَبَ لِلْوُقُوفِ عَلَى عِلَلِ التَّعَدُّدِ الْمُصْطَلَحِيِّ لِلتَّأْوِيلِ وَإِبْرَارِ أَهْمِيَّتِهِ.

الكلمات المفتاحية : مُصْطَلَح؛ تَعَدُّد؛ تَأْوِيل؛ نَحْو؛ مَعْنَى.

Abstract:

This study seeks to investigate issue of the terminological multiplicity of the word interpretation in the Arabic grammatical heritage, by tracing the terms synonymous with this term in order to reveal the points of convergence and disagreement between these terms, which had a clear and direct impact on their use in the same contexts without disturbing their meanings, with an indication of the importance of this multiplicity in The grammatical and linguistic lesson in general, following in that descriptive approach with the mechanism of analysis, because it is the most appropriate to identify the causes of the terminological multiplicity of interpretation and highlight its importance.

Keywords: term; multiplicity; interpretation; grammar; meaning

مقدمة:

تُعَدُّ قَضِيَّةُ الْمُصْطَلَحِ مِنْ بَيْنِ عَدِيدِ الْقَضَايَا الَّتِي شَغَلَتْ الدَّارِسِينَ وَالْبَاحِثِينَ فِي مُخْتَلَفِ الْمَجَالَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْمَعْرِفِيَّةِ، وَكَمَا يُقَالُ: مِفَاتِيحُ الْعُلُومِ مُصْطَلَحَاتُهَا، فَالْمُصْطَلَحُ أَهَمُّ مَا يُمَيِّزُ عِلْمًا مِنَ الْعُلُومِ عَنْ غَيْرِهِ، وَنَظَرًا لِأَهْمِيَّتِهِ الْبَالِغَةِ خَصَّه بَعْضُهُمْ بِدَرَسَاتٍ مُسْتَقِلَّةٍ، وَمُؤَلَّفَاتٍ خَاصَّةٍ، تَحْمِلُ عُنْوَانَ الْمُصْطَلَحِ، وَالْمُتَّبِعُ لِهَذَا الْمَجَالِ، يَلْحَظُ شَيُوعَ ظَاهِرَةِ التَّعَدُّدِ الْمُصْطَلَحِيِّ فِي الْعِلْمِ الْوَاحِدِ، أَوْ الْمَوْضُوعِ الْوَاحِدِ، وَقَدْ كَانَتْ الدَّرَسَاتُ اللَّغَوِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي ظَهَرَ فِيهَا التَّعَدُّدُ الْمُصْطَلَحِيُّ بِشَكْلِ لَا فِتٍ، وَمِنْ بَيْنِ هَذِهِ الدَّرَسَاتِ الثَّرَاثُ النَّحْوِيُّ الْعَرَبِيُّ، الَّذِي حَمَلَ فِي ثَنَائِهِ الْعَدِيدِ مِنَ الْمُصْطَلَحَاتِ الْمُرَادِفَةِ مِثْلُ: الْحَذْفِ وَالرَّتْبَةِ، وَالصِّفَةِ وَالتَّأْوِيلِ، هَذَا الْأَخِيرُ الَّذِي اتَّخَذَهُ النَّحَاةُ آلِيَّةً لِاسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ النَّحْوِيَّةِ وَتَصْوِيهِهَا، لَكِنْ اسْتَعْمَلُوهُ بِأَلْفَاظٍ مُتَنَوِّعَةٍ، وَمِنْ هَذَا الْمُنْطَلَقِ جَاءَتْ دِرَاسَتُنَا مَعْنُونَةٌ بِ: التَّعَدُّدِ الْمُصْطَلَحِيِّ فِي الثَّرَاثِ النَّحْوِيِّ الْعَرَبِيِّ وَعِلَلُهُ - التَّأْوِيلُ النَّحْوِيُّ نُمُودَجًا -.

وَيَعُدُّ هَذَا الْمَوْضُوعُ ذَا أَهْمِيَّةٍ بِالنِّسْبَةِ لِلدَّرْسِ اللَّغَوِيِّ إِجْمَالًا، فَهُوَ يَكْشِفُ عَنْ عِلَلِ التَّعَدُّدِ الْمُصْطَلَحِيِّ فِي الْبِيئَةِ النَّحْوِيَّةِ وَدَوْرِهِ فِي إِثْرَاءِ الْقَامُوسِ الْمُصْطَلَحِيِّ النَّحْوِيِّ.

وَلِبَسْطِ الْفِكْرَةِ سَيَقْتِ الْإِشْكَالِيَّةُ فِي شَكْلِ سُؤَالٍ مُرَكِّزٍ مَفَادُهُ: مَا الْمُصْطَلَحَاتُ الْمُرَادِفَةُ لِمُصْطَلَحِ التَّأْوِيلِ فِي الدَّرْسِ النَّحْوِيِّ؟ وَفِيمَ تَتِمَّتْ عِلَلُ هَذَا التَّرَادُفِ؟، وَهَلْ شَكَّلَ تَعَدُّدُ هَذَا الْمُصْطَلَحِ عَائِقًا أَمَامَ النَّحَاةِ فِي دِرَاسَتِهِمْ لِللُّغَةِ؟ وَهَلْ هُوَ مُؤَدِّي بِالضَّرُورَةِ إِلَى اضْطِرَابِ هَذِهِ الْمُصْطَلَحَاتِ وَسُوءِ تَوْضِيهِهَا؟ أَمْ كَانَ مِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ يُلْجَأَ النَّحَاةُ إِلَى تَوْحِيدِ الْمُصْطَلَحَاتِ الْمَعْبُورَةِ عَنْ ظَاهِرَةِ التَّأْوِيلِ أَمْ لَا؟

وَكَكَلَّ بَحْثُ كَانَ لَا بَدَّ مِنْ نَسْجِ خُطَّةٍ نَسِيرَ عَلَى مَنَوَالِهَا فَصَلَّنَاهَا عَلَى النَّحْوِ الْآتِي: أَوَّلًا: مَفْهُومُ الْمُصْطَلَحِ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا، ثَانِيًا: مَفْهُومُ التَّأْوِيلِ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا، ثَالِثًا: الْمُصْطَلَحَاتُ الْمُرَادِفَةُ لِمُصْطَلَحِ التَّأْوِيلِ، رَابِعًا: عِلَلُ التَّعَدُّدِ الْمُصْطَلَحِيِّ، وَقَسَمْنَاهُ إِلَى الْعِلَّةِ الْمُعْجَمِيَّةِ وَالْعِلَّةِ الْإِصْطِلَاحِيَّةِ.

أولاً: مفهوم المصطلح:

1. لُغَةً: مَرَدَّهُ إِلَى الْحَذْرِ اللَّغَوِيِّ (صَلَحَ)، فَقَدْ وَرَدَ فِي مَقَائِيسِ اللَّغَةِ لِابْنِ فَارِسٍ (ت395هـ) قَوْلُهُ: " (صَلَحَ) الصَّادُ وَاللَّامُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ عَلَى خِلَافِ الْفَسَادِ، فَهُوَ بِمَعْنَى الصَّلَاحِ وَالصَّلَاحِ وَالِاتِّفَاقِ ". ⁽¹⁾ فَهُوَ بِمَعْنَى الصَّلَاحِ وَالصَّلَاحِ وَالِاتِّفَاقِ.

2. اصْطِلَاحًا: وَرَدَ فِي التَّعْرِيفَاتِ لِلشَّرِيفِ الْجُرْجَانِيِّ (ت816هـ)، "الاصْطِلَاحُ: عِبَارَةٌ عَنْ اتِّفَاقٍ قَامَ عَلَى تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِاسْمٍ مَا يُنْقَلُ عَنْ مَوْضِعِهِ الْأَوَّلِ (...) وَقِيلَ: الْإِصْطِلَاحُ: اتِّفَاقُ طَائِفَةٍ عَلَى وَضْعِ اللَّفْظِ بِإِزَاءِ الْمَعْنَى (...) وَقِيلَ: الْإِصْطِلَاحُ لَفْظٌ مُعَيَّنٌ بَيْنَ قَوْمٍ مُعَيَّنِينَ ". ⁽²⁾

فَالْمُصْطَلَحُ إِذَنْ هُوَ كُلُّ لَفْظٍ اتَّفَقَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ جَمَاعَةٍ مُعَيَّنَةٍ وَتَعَارَفَتْ عَلَيْهِ، وَقَبْلَ تَتَبُّعِ الْمُصْطَلَحَاتِ الْمُرَادِفَةِ لِمُصْطَلَحِ "التَّأْوِيلِ" لَا بَدَّ مِنَ الْوُقُوفِ عَلَى مَفْهُومِهِ اللَّغَوِيِّ وَالِاصْطِلَاحِيِّ أَوَّلًا كَوْنَهُ الْمَادَّةَ مُحَلِّ الدَّرَاسَةِ.

¹ ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط، 1989م، ج3، ص303.

² الشَّريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، دط، 2004م، ص27.

ثانيا: تعريف التأويل النحوي لغة واصطلاحاً:

1. لغة: ورد في معجم العين للخليل (ت 175) قوله: "التَّأْوِيلُ والتَّأْوِيلُ: تفسير الكلام الذي تَحْتَلِفُ معانيه، ولا يصحُّ إلا بَيَّانٍ غَيْرٍ لفظه".⁽¹⁾

فالتأويل عند الخليل بمعنى التفسير والبيان، وإلى هذا التعريف ذهب ابن منظور (ت 711هـ) في لسان العرب.⁽²⁾ وقال أيضاً: "والمراد بالتأويل نقلُ ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يَحْتَاجُ إلى دليلٍ لولاهُ ما تُرِكَ ظاهِرُ اللَّفْظِ".⁽³⁾ فالتأويل كما يراه ابن منظور هو: التدبير والتقدير والتفسير، وهذه المعاني تعني صرف اللفظ والعدول به عن ظاهر

2. اصطلاحاً: عرّفه زكريا الأنصاري (ت 926هـ) في كتابه الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة بقوله: "المؤول: مشتق من التأويل، وهو حمل الظاهر على المحتمل المرجوح".⁽⁴⁾

أما محمد عيد وفي كتابه أصول النحو العربي فقد عرّف التأويل على أنه: "صرف الكلام عن ظاهره إلى ما يحتاج إلى تدبّر وتقدير".⁽⁵⁾

وقد ذكر النحاة والدارسون لهذا المجال الأسباب التي أدّت بالنحاة إلى توظيف آليّة التأويل، ويمكن إجمالها في نقطتين مهمتين:

- **مخالفة القواعد النحوية:** نقل السيوطي (ت 911هـ) عن أبي حيّان في كتابه المزهري في علوم اللغة قوله: "إنما يسوغ التأويل إذا كانت الجادة على شيء ثم جاء شيء يخالف الجادة فيتأول"⁽⁶⁾، فالتحاة يلجؤون إلى التأويل إذا خالف ظاهر النص المشهور من القواعد.

- **تصويب المعنى:** فقد يلجأ النحوي إلى التأويل لتصحيح المعنى المراد، إذا كان ظاهر النص يوحي بخلاف المقصود، وهذه المسألة تشيع كثيراً في القرآن الكريم؛ فمعنى النص القرآني كثيراً ما يُتَوَصَّلُ إليه عن طريق: مواضع أخرى في النص القرآني أو من تفسير مأثور، أو مناسبة نزول، أو لاعتبار شرعي، أو عقدي لا يستقيم فيها حمل النص القرآني على ظاهره، وإلا فسد المعنى.⁽⁷⁾

¹ الخليل، العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ج 8، ص 396.

² ينظر: ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت، مج 1، ج 3، ص 172.

³ نفسه .

⁴ زكريا الأنصاري، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تحقيق مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1991، ص 80.

⁵ محمد عيد، أصول النحو العربي، عالم الكتب الحديث، القاهرة، مصر، ط 4، 1989م، ص 155.

⁶ السيوطي، المزهري في علوم اللغة، تحقيق محمد أحمد جار المولى وآخرون، دار التراث، القاهرة، ط 3، 2008م، ج 1، ص 258.

⁷ ينظر: محمد عبد الفتاح الخطيب، ضوابط الفكر النحوي، دار البصائر، القاهرة، مصر، دط، 2006م، ج 2، ص 340-341.

ومثال فساد المعنى لو أُخْتُكُم لظاهر اللفظ قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فقد أوله الأخفش (ت 215هـ) الأوسط في معانيه على أنّ هذا شبيهه بأن تقول: هما عدوّ لي⁽¹⁾، لذلك وقع المفرد (رسول) موقع التثنية (رسولا) على اعتبار (رسول) مصدر يقع على المفرد والمثنى والجمع.

ثالثا: المصطلحات المرادفة لمصطلح التأويل: استعمل النحاة مصطلح التأويل بعبارات أخرى موازية له ومن ذلك:

- **التفريع:** استعمل المبرّد (ت 285هـ) هذه اللفظة بمعنى التأويل حيث قال في المقتضب: "ورفع (زيد) على أنّه فاعل الضرب، ثم قال: وإن شئت رفعت الأخ ونصبت زيدا على خبر (كان) (...)"، فهذا بيان ما في المسألة، وما سوى ذلك من التفريع فقد تقدّم ما يغني عن إعادته في هذا الموضع"⁽²⁾، أي: وما سوى ذلك من التأويلات.
- **الجهة:** حيث قال المبرّد في قبج وجوه: "إنّ زيدا كأنّه منطلق"⁽³⁾: "وقبجه من وجهين: أحدهما: (...) وقبجها من الجهة الأخرى: أنّك تجعل (منطلقا) هو الاسم وهو نكرة، وتجعل الخبر الضمير وهو معرفة"، وهنا استعمل المبرّد لفظ الجهة والوجه بمعنى التأويل.
- **التخريج:** قال أبو حيّان (ت 754هـ): "وقرأ ابن جُبَيْر ﴿إِنَّ﴾ خفيفة و﴿عَبَادًا﴾ أمثالكم ﴿[الأعراف: الآية 194]﴾، بنصب الدال واللام واتفق المفسّرون على تخريج هذه القراءة على أنّ إنّ هي الناقية أعملت عمل ما الحجازية فرفعت الاسم ونصبت الخبر"⁽⁴⁾، ومنه فالتخريج بمعنى التأويل.
- **التقدير:** ورد لفظ (التقدير) بمعنى (التأويل) في أغلب كتب النحو ومنها كتاب المقتضب للمبرّد الذي يقول فيه: "وذلك أن تقديرها: كان الذي قام الرجل/ الذي قعد إليه أبواه، فلا بدّ من ضميرين يرجع أحدهما إلى الألف واللام في قاعد والآخر إلى الألف واللام في القائم"⁽⁵⁾، ولا يخفى في هذا الموضع من استعمال مصطلح التقدير بمعنى التأويل.
- **الوجه:** خرّج ابن جيّ (ت 392هـ) قراءة الحسن والزهرّي: ﴿أَوْ كَانُوا عُرَا﴾ [آل عمران، الآية 156]، خفيفة الزاي من عدّة أوجه، حيث "قال أبو الفتح: وجهه عندي أن يكون أراد عزة فحذف الهاء إحلادا إلى قراءة من قرأ (عُرَى)، بالتشديد (...) ووجه آخر وهو أن يكون مخففا من (عُرَى)"⁽⁶⁾ وفي هذا النصّ نلاحظ استعمال ابن جيّ لمصطلح "الوجه" بمعنى التأويل.
- **التفسير:** استعمل النحاة مصطلح (التفسير) بمعنى (التأويل) في الكثير من المواضع، ومن ذلك ما ذكره أبو حيّان في البحر المحيط، حيث قال: "قال الزمخشري: بئس الرّفد المرفود رفدهم؛ أي بئس العون المعان، وذلك أن اللعنة في الدنيا رّفدٌ للعذاب ومدد له، وقد رفدت باللعنة في الآخرة (...)" ويظهر من كلامه أنّ المرفود صفة للرفد، وأنّ

¹ ينظر: الأخفش الأوسط، معاني القرآن، تحقيق هدى محمود، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1990م، ص 461.

² المبرّد، المقتضب، تحقيق عبد الخالق عزيمة، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، مصر، ط 2، 1994م، ج 4، ص 123.

³ المرجع نفسه، ج 4، ص 119.

⁴ أبو حيّان، البحر المحيط، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ط، 1992، ج 5، ص 205.

⁵ المبرّد، المقتضب، ج 4، ص 120.

⁶ ابن جيّ، المحتسب في تبين وجوه القراءات، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرون، د ن، القاهرة، مصر، د ط، 1994م.

المختص بالمدح محذوف تقديره رفدهم، وما ذكر من تفسيره؛ أي بئس العون المعان هو قول أبي عبيدة" (1).

- التَّوْجِيه: جاء في البحر المحيط لأبي حيّان قوله: "وتقدّم الكلام على قراءة من قرأ يحزنك رباعيًا وثلاثيًا في آخر سورة آل عمران وتوجيه ذلك" (2)، أي وتأويل ذلك. وهكذا نلاحظ تعدّد المصطلحات المرادفة لمصطلح التأويل؛ فقد يستعمل النحويّ في مؤلّف واحد مصطلح التأويل ومرادفاته للتعبير عن نفس الظاهرة دون اضطراب في معاني هذه الكلمات.

رابعاً: عللُ التعدد المصطلحيّ للتأويل:

1. **العلّة المعجميّة:** حيث ورد في معاجم اللّغة العربيّة أنّ هذه الألفاظ مرادفة للفظ التأويل تصريحاً أو تلميحاً، ومن ذلك لفظ التفسير فقد ذكر الخليل في تعريفه للتأويل: "التأويل والتأويل: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصحّ إلاّ بيان غير لفظه" (3)، وكلام الخليل يُعطي صريحاً أنّ التفسير مرادف للتأويل، كما ورد في القاموس المحيط للفيروز آبادي (ت817هـ) بلفظ صريح أنّ التأويل بمعنى التفسير، ففي هذا الشأن يقول: "التفسير والتأويل واحد" (...)، والتأويل ردّ أحد المختلّفين إلى ما يُطابق الظاهر" (4)، فهما بمعنى الإبانة والردّ إلى الأصل.

أمّا لفظ الوجه والجهة فغالبا ما يُوردان في نفس الموضع على أنّهما بنفس المعنى وفي ذلك قال الخليل: "الوجه: مُسْتَقْبَلُ كُلِّ شَيْءٍ. والجهة: النَّحْوُ. يقال: أخذت جهة كذا، أي: نحوه" (5)، وإلى هذا التعريف ذهب ابن فارس في معجمه مقاييس اللّغة (6).

وما يفهم من هذا التعريف أنّ الوجه والجهة بمعنى النحو، والطريق، والمذهب، والاتّجاه، والوجهة، ولم يتعد ابن منظور عن هذا المعنى في تعريفه للوجه والجهة ففي هذا يقول: "وفي حديث أبي الدرداء: لا تفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً، أي ترى له معاني يحتملها، (...) ويقال: هذا وجه الرأي، أي هو الرأي نفسه والوجه والجهة بمعنى (...). وجه الكلام السبيل الذي نقصده به (...). وما له جهة في هذا الأمر ولا وجهة، أي لا يبصر وجه أمره وكيف يأتي له، وضلّ وجهه أمره، أي قصده (...). وقلت كذا على جهة كذا" (7)، وما قاله ابن منظور في تعريفه للوجه والجهة مُشعّر بأنّ الوجه والوجهة بنفس المعنى وهما بمعنى التأويل، ويمكن أن نحلّ كلامه على النحو الآتي:

- قوله: "لا تفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً، أي ترى له معاني يحتملها"؛ أي أنّ الوجه هو ما تدبّر وتقدر من بين جملة الاحتمالات، وهذا ما عليه معنى التأويل.

- قوله: "ويقال: هذا وجه الرأي"؛ أي طريقه وما يحتمله من تفسير وتأويل.

- قوله: "والوجه والجهة بمعنى"؛ أي هما بنفس المعنى.

¹ أبو حيّان، البحر المحيط، ج6، ص206.

² نفسه، ج5، ص488.

³ الخليل، العين، ج8، ص369.

⁴ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005م، ص456.

⁵ الخليل، العين، ج8، ص66.

⁶ ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص89.

⁷ ابن منظور، لسان العرب، مج1، ج3، ص4775-4776.

- قوله: "ووجه الكلام السبيل الذي نقصده به"؛ أي الطريق والمذهب والرأي الذي اخترناه وتدبرناه وقدّرناه ونعتقد صوابه.
 - قوله: "وما له جهة في هذا الأمر ولا وجهة، أي لا يبصر وجه أمره كيف يأتي له"؛ فالمقصود به لا يدرك تأويل أمره وتدبره وتقديره وتفسيره.
 - وقوله: "وقلت كذا على جهة كذا"؛ أي أخذت بهذا الرأي من هذا التأويل والتفسير ومن هذا التقدير... إلخ.
- وعلى العموم فإنّ تحليلنا لما ذكره الخليل وابن منظور ينصّ على أنّ الوجه والجهة مترادفان وهما كذلك مرادفان للفظ التأويل من حيث المعنى المعجمي.

وفي المعجم الوسيط: "(الجهة): الجانب والنّاحية -و-الموضع الذي تتوجّه إليه وتقصده (...). ويقال: ماله جهة في هذا الأمر: لا يُبصر وجه أمره كيف يأتي له، وفعلت كذا على جهة كذا: على نحوه وقصده (...). ومن الكلام: السبيل الذي تقصده -و-الصفة والنوع والقسم. (ج) أوجه، ووجه (...). ووجه القرآن معانيه"⁽¹⁾، وهذا التعريف مُشْعِرٌ بأنّ الجهة والوجه لهما نفس المعنى، فهما بمعنى التدبر والتقدير، دل على ذلك قولهم: (لا يُبصر وجه أمره كيف يأتي له)، وهما كذلك بمعنى الطريق والمذهب والرأي الذي يعتقد صوابه من بين مجموع الاحتمالات الممكنة، دلّ على ذلك قولهم (ومن الكلام: السبيل الذي تقصده).

كما يتقاطع لفظ التوجيه مع لفظ التأويل في تضمّنها لنفس المعنى؛ فقد ورد في معجم لسان العرب: "فَوَجَّهُوا لِلنَّاسِ الطَّرِيقَ تَوْجِيهًا إِذَا وَطَّوهُ وَسَلَّكُوهُ حَتَّى اسْتَبَانَ أَثَرُ الطَّرِيقِ لِمَنْ يَسْلُكُهُ"⁽²⁾، إذا فالتوجيه على المعنى الذي نصّ عليه ابن منظور هو تدبّر الطريق واستبانته حتى تتضح.

وقال في موضع آخر: "التوجيه: هو حركة الحرف الذي قبل الرّويّ المقيد، وقيل له توجيه؛ لأنّه وجّه الحرف الذي قبل الرّويّ المقيد إليه لا غير (...). وقال ابن جيّ: أصله من التوجيه، كأنّ حرف الرّويّ مُوجّه عندهم، (...) فلذلك سمّيت الحركة قبل الرّويّ المقيد توجيهًا، إعلامًا أنّ للرّويّ وجهين في حالين مختلفين، وذلك أنّه إذا كان مقيدًا فله وجه يتقدّمه، وإذا كان مطلقًا فله وجه يتأخّر عنه فجرى مجرى الثوب الموجه وغيره"⁽³⁾ ويمكن تحرير ما ذكره ابن منظور فيما يأتي:

- قوله: "وقيل له توجيه؛ لأنّه وجّه الحرف الذي قبل الرّويّ المقيد إليه لا غير"؛ أي أنّ تسلك طريقا بعينه دون غيره من الطرق المحتملة.
- قوله: "فلذلك سمّيت الحركة قبل الرّويّ المقيد توجيهًا، إعلامًا أنّ للرّويّ وجهين في حالين مختلفين"؛ معنى ذلك أنّ التوجيه لا يسمّى توجيهًا إلّا إذا كان للشيء أكثر من وجه وأنت تأخذ بواحد دون غيره، كما أنّ هذا الكلام يوحي بأنّ التوجيه يتعيّن إذا كانت هناك عدة طرق أو احتمالات مختلفة، ويقع الاختيار على واحد منها يكون هو الأنسب وفي ذلك إعمال للفكر وهذا هو التوجيه، وإلى هذا المعنى ذهب الفيروز آبادي في قاموسه، وفي هذا الموضع يقول: "وجهٌ توجيهًا: أرسله، وشرفه، (...) ووجهت إليك توجيهًا: تَوَجَّهْتُ، (...) والجهة، بالكسر والضمّ: الناحية، كالوجه"⁽⁴⁾، إذا فالوجه والجهة والتوجيه بمعنى واحد هو: الطريق والسبيل المقصود، والرأي البين المراد والمختار، وهذا الذي عليه معنى التأويل.

¹ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004م، ص1015-1016.

² ابن منظور، لسان العرب، مج1، ج3، ص4777.

³ نفسه.

⁴ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص1255.

والأمر نفسه بالنسبة للفظ **التَّقْدِير**؛ فقد جاء في لسان العرب: "والتَّقْدِير على وجوه من المعاني: أحدها التَّروية والتَّفكير وتسوية أمر وهيئته، والثاني (...)، والثالث، أن تنوي أمراً بعقدك تقول: قَدَرْتُ أمر كذا وكذا، أي نوَّيته وعَقَدْتُ عليه، ويقال: قَدَرْتُ لأمر كذا أَقْدِرُ له وأَقْدُرُ قَدَرًا إذا نظرتُ فيه ودَبَّرْتُهُ وقَايَسْتُهُ".⁽¹⁾

وفي القاموس المحيط: "والتَّقْدِير: التَّروية، والتَّفكير في تسوية أمر، وتقَدَّر: تَهَيَّأ"⁽²⁾، وفي المعجم الوسيط: "ويقال: الأمر: دَبَّرَهُ وفَكَّرَ في تسويته"⁽³⁾، والتَّقْدِير في عمومته بمعنى: التَّدَبُّر في الشيء والتَّفكير فيه بغية تسوية أمر ما، وهذا التعريف مطابق للتعريفات التي سبقتها، أي أنَّ التَّقْدِير بمعنى التأويل، والوجه، والتَّوجيه... إلخ.

والكلام نفسه يقال عن لفظ **التَّخْرِيج**؛ فقد ورد في معجم العين: "وأَرْضٌ مُخْرَجَةٌ، وَتَخْرِيجُهَا أن يكون نَبْتُهَا في مكان دون مكان"⁽⁴⁾، وفي لسان العرب: "يقال: خَرَجَ الغلامُ لوحه تخريجا إذا كتبه فترك فيه مواضع لم يكتبها؛ والكتاب إذا كُتِبَ فترك منه مواضع لم تكتب، فهو مُخَرَّجٌ، وخَرَجَ فلان عمله إذا جعله ضروبا يخالف بعضه بعضا"⁽⁵⁾، كما ورد هذا التعريف في القاموس المحيط: "وأَرْضٌ مُخْرَجَةٌ، كُمُنْقَشَةٍ: نَبْتُهَا في مكان دون مكان، وعام فيه تَخْرِيجٌ: خصب وجذب (...) وتَخْرِيجُ الرَّاعِيَةِ المرعى: أن تأكل بعضا وتترك بعضا (...) وخَرَجَ اللُّوحُ تخريجا: كتب بعضا وترك بعضا"⁽⁶⁾، وغاية ما تُشْعِرُ به هذه التعريفات هو أنَّ التَّخْرِيجَ إنما يقع إذا كانت هناك مواضع مختلفة يتم اختيار بعضها دون بعض، أو أخذ بعضها دون بعض، وفي هذه النقطة تحديدا يتقاطع التَّخْرِيجُ مع التأويل ومرادفاته.

أما **التَّفْرِيعُ** فقد جاء في القاموس المحيط تعريفه على النحو الآتي: "فرع كلِّ شيءٍ: أعلاه، -و- من القوم: شريفهم (...) ومجرى الماء إلى شَعْبٍ (...) -و- من هذا الأصل مسائل: جعلها فروعها فتَفَرَّعتْ، (...) "⁽⁷⁾، وفي المعجم الوسيط: "تَفَرَّعَ الشَّيْءُ: كان ذا فروع، (...) (الفرع) من كلِّ شيءٍ: أعلاه (...) وفروع المسألة ما تَفَرَّعَ منها"⁽⁸⁾، والتَّفْرِيعُ هنا يحمل معنيين ظاهرين: أولهما أنَّ الفرع هو أعلى كل شيء فهو الظاهر والبيِّن، وثانيهما: تَشَعُّبُ المسألة إلى اتجاهات، ولا يخفى ما في التعريف من تقاطع معناه مع معنى التأويل ومرادفاته.

2. **العلة الاصطلاحية**: حيث تدلّ التعريفات الاصطلاحية للمصطلحات السابقة -تصريحا أو تلميحا- على أنَّها مترادفة من حيث المعنى؛ كترادف مصلح **التفسير** للتأويل، فقد ورد في معجم التعريفات للشريف الجرجاني أنَّ التأويل: "صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله (...) التفسير: في الأصل: الكشف والإظهار"⁽⁹⁾.

¹ ابن منظور، لسان العرب، مج 1، ج 3، ص 3547.

² الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 460.

³ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 718.

⁴ الخليل، العين، ج 8، ص 159.

⁵ ابن منظور، لسان العرب، مج 1، ج 3، ص 1127.

⁶ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 175-176.

⁷ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 746-747.

⁸ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 684.

⁹ الشريف الجرجاني، التعريفات، ص 46.

أما في مجال النحو فيعرف الكفوي (1094هـ) التفسير والتأويل بقوله: "وتفسير الإعراب ملاحظة الصناعة النحوية، (...) مثلا إذا سُئِلنا عن إعراب قوله تعالى: ﴿وَكَاثُوا فِيهِ مِنَ الرَّاهِدِينَ﴾ [يوسف، الآية 20]، قلنا: تقديره: (وكانوا من الزاهدين فيه) (...) وتفسير نحو قولهم: (ضربت زيدا سوطا): ضربت ضربة بسوط، فهو لا شك كذلك، ولكن طريق إعرابه إنّه على حذف المضاف، أي ضربه ضربة سوط، فحذفت، والتفسير والتأويل واحد؛ وهو الكشف عن المشكل"⁽¹⁾، وكلام الكفوي يُعطي صرحاً أنّ التأويل والتفسير بمعنى واحد وهو تدبر الصناعة النحوية وتقديرها وإعطائها طريقاً؛ بمعنى تجاوز حدود الوصف والظاهر من الكلام للوصول إلى الطريق المراد من حيث الشكل والمعنى.

أما عن مصطلحي الوجه والجهة فقد جاء في أساس البلاغة للزمخشري (ت538هـ) قوله: "وتفرّقوا في كل وجه وجهه، ومن يردّ وجه السبل وصرف الشئ عن وجهه، وليس لكلامك هذا وجه: صحّة"⁽²⁾، وما يمكن أن يفهم من هذا التعريف أنّ الوجه والجهة بمعنى واحد، ومن ناحية ثانية أنّ الوجه والجهة يُطلقان على الرأي المختار من بين جملة الآراء أو الاحتمالات، وهو كذلك الرأي الذي يُعتَقَدُ صوابه، وإلى هذا المعنى ذهب الكفوي في الكليات، فقال: "الوجه: (...) ومن الكلام، السبيل المقصود"⁽³⁾، والمعنى أنّه إذا كانت هناك عدّة سبل أو عدة آراء حول مسألة ما فالرأي المقصود أو السبيل المقصود والمختار من بين جميع هذه السبل أو الآراء يسمّى وجهاً.

كما لا يخرج مصطلح التوجيه عن هذا المعنى فقد عرفه السيوطي في معجم مقاليد العلوم في الحدود والرّسوم بقوله: "التوجيه: إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين"⁽⁴⁾، أما الشريف الجرجاني فقد عرفه بقوله: "إيراد الكلام على وجه يندفع به كلام الخصم، وقيل: عبارة عن وجه يُبَيِّنُ كلام الخصم"⁽⁵⁾، وكلام الشريف الجرجاني يدلّ على أن التوجيه والوجه بمعنى واحد، والمقصود بالوجه هنا هو الرأي أو الحجّة أو الدليل الذي يُدْخَضُ به رأي الخصم أو حجته أو دليله وهو بهذه الصفة يتقاطع مع مفهوم التأويل ومرادفاته من المصطلحات، كونه يستعمل في المسائل محلّ الخلاف والاحتمالات.

ولا يحدد مصطلح التقدير عن هذا المعنى؛ حيث قال الكفوي في تعريفه: "والتقدير في الكلام: لتصحيح اللفظ والمعنى (...) قال عبد القاهر الجرجاني في تقدير اللام بين المضاف والمضاف إليه، وينبغي تقليل المقدّر ما أمكن لتقلّ مخالفة الأصل، فالتقدير في (أنت مني فرسخان) بعدك مني فرسخان (...) وإذا استدعى الكلام تقدير أسماء متضايقة أو موصوف وصفة أو (...) فلا يقدر أنّ ذلك حذف على دفعة واحدة"⁽⁶⁾، وقوله: (لتصحيح اللفظ والمعنى) يتطابق تماماً مع ما ذكره النحاة والدارسون المحدثون من أنّ علّة التأويل تكمن في تصويب القواعد النحوية أو تصحيح معنى -وقد ذكرنا ذلك سابقاً- وفي هذه النقطة تحديداً يتقاطع مصطلح التقدير مع التأويل.

¹ الكفوي، الكليات، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1998م، ص260-261.

² الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998م، ج2، ص322.

³ الكفوي، الكليات، ص947.

⁴ السيوطي، معجم مقاليد العلوم، تحقيق محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2004م، ص104.

⁵ الشريف الجرجاني، التعريفات، ص62.

⁶ الكفوي، الكليات، ص284.

وفي معجم المصطلحات النحويّة والصرفيّة للبلدي: "التقدير: هو نيّة الشيء وتصور وجوده وكثيرا ما يستعمل في المواطن التي يقع فيها الحذف أو التي تحتاج فيها الكلمات إلى ما يكمل معانيها"⁽¹⁾، والتقدير في مثل هذه المواضع هو ما يسمى بالتأويل.

أما مصطلح **التخريج** فقد أورده البلدي تلميحا على معنى التأويل؛ حيث قال في هذا الشأن: "التخريج: (...) يستعمل النّحاة هذا اللفظ في التبرير والتعليل وإيجاد الوجوه المناسبة للمسائل الخلافية بخاصّة فيقال مثالا: وخرجها النحويّ الفلاني أي: أوجد لها مخرجا يُخرجها من إشكالها، ويقال كذلك: وفي المسألة تخريجات عديدة أي وجوه وتعليقات تُخرجها ممّا فيها من إشكالات"⁽²⁾، ولا يخفى ما في هذا التعريف من معانٍ متداخلة مع بقية المصطلحات وعلى رأسها التأويل.

الخاتمة:

ومّا سبق يمكن الخروج بالنتائج الآتية:

- ✓ إنّ التأويل في عمومته تجاوز لظاهر اللفظ إلى ما يحتمله من بيان وتدير وإعمال عقل، بغية الحفاظ على شكل النص ومعناه من الاضطراب، هذا المفهوم جعل لمصطلح التأويل بعض المصطلحات التي تتداخل معه في نفس الحمولة الدلالية المعجمية والاصطلاحية، كالتفسير، والوجه، والجهة، والتقدير.... إلخ.
- ✓ إنّ علّة تعدّد مصطلح التأويل هو أنّ هذه المصطلحات عبارة عن ألفاظ يفسّر بعضها بعضا؛ من ذلك قولهم في التعريفين اللغوي والاصطلاحى: التأويل: بمعنى التفسير والتقدير، والوجه: هو الجهة... وغيرها.
- ✓ إنّ تعدّد مصطلح التأويل لم يشكّل عائقا أمام النّحاة في تعاملهم مع هذا العلم، بل وظّفوا هذه المصطلحات بطريقة سلسلة للغاية، نظرا لإدراكهم للحمولة الدلالية المشتركة بين هذه المصطلحات، فنجد أنّ النحويّ يستعمل في المؤلّف الواحد وفي المسألة الواحدة مصطلح التأويل تارة وبعض المصطلحات المرادفة له تارة أخرى، كما أنّ المتخصّص في مجال علم النحو بشكل عام لا يلتبس عليه مفهوم هذه المصطلحات ومواطن استعماله؛ ذلك أنّ النّحاة قد وظّفوا هذه المصطلحات بطريقة تجعل من الباحث يستوعب مدلولها دون عناء.
- ✓ إنّ دراسة المصطلح ليست من مهمة النّحاة بل له مجاله وعلماءه، لذلك صرف النّحاة عنايتهم إلى دراسة قواعد العربيّة لا إلى دراسة المصطلحات المستعملة وتوحيدها.

ورغم ما ذكرناه في هذا الموضوع إلا أنه يمكننا أن نطرح سؤالا تبادر إلى الذهن عفويا، مفاده: هل من الممكن توحيد جميع المصطلحات الدالة على ظاهرة التأويل؟، أو أي ظاهرة معيّنة في علم من العلوم؟، ويمكن اختصار إجابتنا على النحو الآتي:

إن كان من الضروريّ توحيد المصطلح في المجالات العلميّة والمعرفيّة الأخرى، فإننا نعتقد أنه ليس من الضروريّ فعل ذلك في مجال علوم اللّغة، خاصّة وأنّه لم يعرقل الحركة العلميّة في هذا المجال، وإن حاولنا اختزال هذه المصطلحات في مصطلح واحد، أو استعملنا مصطلحا واحدا للدلالة على ظاهرة معيّنة واستغنيا عن باقي المصطلحات المرادفة له، فإنّ ذلك يقلّل من الثروة اللّغويّة المستعملة في اللّغة، فتعدّد المصطلحات المعبرة عن مدلول واحد يُمكن من تنمية الرصيد اللّغويّ للباحث كما يُسهّم في إثراء

¹ محمد سمير نجيب البلدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1985م، ص182.

² نفسه، ص73.

القاموس المصطلحي لهذا العلم، ومن جهة أخرى فإنّ التَّعَدُّدَ اللَّفْظِيَّ أو المصطلحيّ يظهر كثيرا في حياتنا اليوميّة، ولم يكن ذلك عائقا أمام أفراد المجتمع في الفهم والإفهام، فالتَّعَدُّدُ المصطلحيّ واللفظيّ بشكل عام يحافظ على مفردات اللّغة من الاندثار في جانبها الاستعمالي، لذلك من غير الممكن ترك هذه المصطلحات حييسة طيّات المعاجم والقواميس.

قائمة المصادر والمراجع:

. القرآن كريم

1. الأخفش الأوسط (أبو الحسن سعيد ابن مسعدة (ت215هـ))، معاني القرآن، تحقيق هدى محمود، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1990م.
2. ابن جني (أبو الفتح عثمان (ت392هـ))، المحتسب في تبين وجوه القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرون، د ن، القاهرة، مصر، د ط، 1994م.
3. أبو حيان (أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي (ت754هـ))، البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ط، 1992، ج5، ص205.
4. الخليل (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت175هـ))، العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
5. زكريا الأنصاري (أبو يحيى زكريا بن أحمد ت926هـ)، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تحقيق مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1991.
6. الزخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد (ت528هـ))، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998م.
7. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ))، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جار المولى وآخرون، دار التراث، القاهرة، ط3، 2008م.
8. —، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2004م.
9. الشريف الجرجاني (علي بن محمد بن علي الزين (ت816هـ))، التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، دط، 2004م.
10. ابن فارس (أبو الحسين بن أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ))، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط، 1989م.
11. الفيروز آبادي (محمد الدين محمد بن يعقوب ت817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005م.
12. الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت1094هـ))، الكليات، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1998م.
13. المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد (ت280هـ))، المقتضب، تحقيق عبد الخالق عظيمية، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1994م.

14. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004م.
15. محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.
16. محمد عبد الفتاح الخطيب، ضوابط الفكر النحوي، دار البصائر، القاهرة، مصر، دط، 2006م.
17. محمد عيد، أصول النحو العربي، عالم الكتب الحديث، القاهرة، مصر، ط4، 1989م.
18. ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل بن محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم (ت711هـ))، لسان العرب، تحقيق عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت.